نَكْتُ الهِميان في نُكَت العميان بين التَّراجم وموسوعيَّة التَّأليف

الدكتورة: فاتن كوكة أستاذ مساعد في قسم اللّغة العربيّة كلية الآداب _ جامعة دمشق

الاختصاص: المكتبة العربيّة مصادر التُّراث والكتاب القديم

الملخّص

يرتكزُ هذا البحث على دراسة كتاب (نُكت الهميان) للصّفديّ 764هـ، وبيان صفته التّأليفيّة، فقد حرصَ المؤلّف على العرضِ الموسوعيّ لعلّة العمى، وذكر تراجم كلّ من عرف أنّه وُلد أعمى، أو طرأ عليه العمى لمرضٍ أو حادثٍ، فكانت مشكلة البحث مرتبطة بتحديد تلك الصّفة وتوضيح منهج المُؤلّف في كتابه ضمن المقدّمات الّتي عرض فيها وفق المنهج الوصفي التّحليليّ الّذي ناسب الموضوع.

حاولنا أن نظهر التّنظيم والدّقة والأمانة العلميّة والموسوعيّة في منهجِ المُؤلف لنصل إلى النّتائج في ختامِ البحثِ بعد اعتمادِ الأدوات البحثيّة مثل الشّرح والتّحليل والاستنتاج.

الكلمات المفتاحيّة: _نَكْت ، _نُكَت ، _الهِميان ، _موسوعيَّة.

The summary

This research studies safadi's book (nakt al himean) and explains the kind of authoring. Alsafadi speek about blind nes, and persons they were born in that situation, or they have another reasons caused blindness, the kind of authoring was the matter of this research, wetry to explain the method of safadi in the book, and we use the description and analyzis to stu organization, punctuality, scientific integrity, original culture in safadi's method to explain conclusion of this study, we don't forget argumentation, explainatiotoc.

أهميّة موضوع البحث:

للعنوان والمضمون أثر واضح في الإقبالِ على قراءة أي كتاب ودراسته وفقاً للغايةِ المرجوّة منه، وهذه هي حالُ الباحثِ مع كتابِ (نكت الهميان في نكت العميان) للصّفديّ[1]، فقد عرضَ موضوعاً إنسانيّاً _علّة العمى_ عرضاً احترافيّاً راقياً تناول فيه العمى من جوانب متعدّدة، ثمّ دلف إلى ذكر تراجم من وقع اختياره عليهم من مشاهير العميان وأعلامهم، فأوردَ ثلاثمئة وعشر ترجمة، واختار للكتابِ عنواناً طريفاً لا يخلو من لمسة بلاغيّة تجلّت في الجناسِ التّام بين النَّكْت[2] والنُّكَت[3]، وفي الجناس النّاقص بين الهِمْيَان[4] والعميان، فكان عرض مادّة الكتاب المُتعلّقة بأخبار العميان وشؤونهم ولطائفهم مشهداً جعله الصّفديّ مشابهاً لإفراغ الهِميان من محتوياته، للكشفِ عمّا في داخله.

ومع أنّ فكرة التّأليف في العللِ الجسدية، وعرض تراجم أصحابها ليست من ابتكار الصّفدي، لكنّ مضمون الكتاب يستحق الدّراسة لغنى مادّته وتنوّعها، وارتباطها بفئة من النّاسِ تركت أثرها في المجتمع مع صعوبة حال العمى، وجعلت فَقْدَ نعمة الإبصار دافعاً للنّجاحِ والإنجازِ.

(1) صلاح الدّين خليل بن أيبك الصّفديّ، كنيته أبو الصّفا، وُلد ببيت علمٍ وأدب لأحدِ أحرارِ المماليك في مدينةِ صفد بفلسطين 696ه، ونشأ في دمشق، ودرس على يد كبار علمائها، ولتقّى علوم اللغة العربيّة، ومال إلى الأدب، ونظم الشّعر، وبرع في الرّسم والخط، واشتغل في ضروبِ التّأليف، تولّى ديوان الإنشاء في حلب وصفد ومصر، وتسلّم وكالة بيت المال في دمشق وتوفّي فيها 764هـ. انظر ترجمته في الدّرر الكامنة لابن حجر العسقلاني 176/2، النّجوم الزّاهرة لابن تغري بردي 19/11، وهدية العارفين للبغدادي 351/1، والأعلام للزركلي 135/2.

(2) النَّكْت: تقليب الشّيء على وجوهه، وإخراج ما كان مخفيّاً فيه، وأصل النّكت أن تضرب في الأرض بقضيب فيؤثر بطرفه فيها، أو أن ترمي بالشّيء وتلقي ما فيه، انظر اللسان (نكت)، والمعجم الوسيط (نكت).

(3) النُّكَت: جمع نُكتة، وهي المسألة الدقيقة، والموقف الطّريف، والفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس، انظر اللسان (نكت)، والمعجم الوسيط (نكت).

(4) الهِمْيَان: هو الجراب أو الكيس الّذي يُوضع فيه المال، ويُشد على الخصر، انظر اللسان (همي).

فقد سبقه إليها علماء أجلاء كالجاحظِ[1] 255هـ في كتابه (البرصان والعرجان والعميان والحولان)[2]، وابن قتيبة[3] 276هـ الّذي ساق فصلاً عن المكفوفين والعُور في آخر كتابه (المعارف)[4]، وأتى على ذكرهم أيضاً في كتابه (عيون الأخبار)[5] ضمن الكتاب العاشر الذي تحدّث فيه عن العيون[6].

وابن الجوزي[7] الذي عقد فصلاً في آخر كتابه (تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التّاريخ والسير)[8] وابن بابه[9] في كتابه (رأس مال النّديم).

وقد ذكرهم الصّفدي في مقدّمةِ كتابه نكت الهميان[1]، ونقل عنهم وعن غيرهم في مواضع مواضع كثيرة ضمن كتابه، شأنه في ذلك شأن كثير من المؤلّفين المُتأخّرين، كالسّيوطي

(1) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، مولده ووفاته بالبصرة، صاحب الفرقة الجاحظيّة في الاعتزال، من أبرز أدباء العصر العبّاسي، عرف بأسلوبه الساحر، عاصر الخليفة المأمون، له مؤلّفات كثيرة منها: البيان والتبيين، الحيوان، رسالة التربيع والتدوير، انظر وفيات الأعيان لابن خلّكان 388/1، والأعلام للزّركلي 74/5.

(2) الكتاب مطبوع بتحقيق أ. عبد السلام هارون، وقد ألّفه انتصاراً لأصحاب العاهات، وردّاً على الهيثم بن عديّ الّذي كان راوية وأخبارياً وعالماً في الأنساب، وقد نقل كثيراً من كلامِ العربِ وعلومها وأشعارها، وكان يتعرض لمعرفة أصول النّاس، وذكر معايبهم، ألّف كتاباً حطّ فيه من شأن ذوي العلل كالعور والعمى والعرج وغيرها.

من مصنّفاته: المثالب، نسب طيئ، انظر وفيات الأعيان 1/ 106، وانظر مقدّمة كتاب البرصان والعرجان العميان والحولان ص15.16.

(3) عبد الله بن مسلم الدِّينَوري نسبة إلى دينور في بلاد فارس، كان عالماً في اللغة والأدب والنّقد وغريب القرآن وأخبار النّاس، له ملفات كثيرة، توفّي عام 276هـ. انظر: وفيات الأعيان لابن خلّكان 1/ 251هـ والأعلام للزركلي 137/4.

(4) الكتاب مطبوع بتحقيق د. ثروت عكاشة، وصادر عن دار المعارف بالقاهرة، وثمّة طبعة أخرى صادرة عن الهيئة العامّة المصرية للكتابِ _الطّبعة الثّانية_ 1992م، ذكر ابن قتيبة في كتابه العميان ضمن فصل المكافيف.

(5) الكتاب مطبوع، من طبعاته طبعة حقّقها د. يوسف علي طويل، دار الكتب العلميّة- بيروت 1416هـ - 1995م.

(6) انظر عيون الأخبار 4/ 57 ضمن كتاب النّساء، وانظر الشّعور بالعور للصّفديّ، مقدّمة المحقّق ص16.

(7) الحافظ جمال الدّين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، فقيه حنبلي، محدّث ومؤرّخ ومتكلّم، وُلد وتوفّي في بغداد، اشتهر بالخطابة والوعظ، وله مؤلّفات كثيرة، عُرف بابن الجوزي لجوزة كانت في داره بواسط، أو نسبة إلى فرضة الجوز في البصرة، من مصنّفاته: صيد الخاطر، صفوة الصّفوة، توفّي 597هـ، انظر وفيات الأعيان لابن خلكان 140/3، وشذرات الذّهب لابن العماد 47/1_50، وسير أعلام النّبلاء للذّهبي 365/21 الطّبعة الحادية والثلاثون برقم 192.

(8) الكتاب مطبوع، الناشر: دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت- لبنان، 1997، دون تحقيق وقد ذكر ابن الجوزي فيه العميان الأشراف والعوران الأشراف، انظر ص324، 325.

(9) ورد في كتاب (نكت الهميان) ابن بانة ولعلّه وهم من المحقق، والصّواب ابن بابه وهو أحمد بن عليّ أبو العبّاس القاشي نسبة إلى إلى قاشان قرب أصفهان، كان أديباً قدم مرو وأقام فيها إلى أن مات بها سنة 510هـ. صنف رأس مال النديم في التّاريخ، فرغ منه سنة 501هـ. انظر اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير 193/2، وهديّة العارفين لإسماعيل باشا البغدادي 82/1.

والبغدادي وغيرهما، ولكنّه أثرى مضمون كتابه بكلّ ما يتعلّق بالعمى من حيث اللغة والنّحو والأدب والبلاغة والطّب والفقه والفلسفة وتراجم الأعيان والأشراف والمشاهير من العميان، فأغناه ممّا اختاره من الفوائد والأخبار والأشعار والأمثال والنّوادر والفرائد المتعلّقة بهم، مُظهراً دقة استقصائه، وبعد نظره، وموسوعيّة معارفه، وأمانة نقوله، ومهارة تأليفه، وحسن اختياره، وهذا كلّه يعطي الكتاب أهميّة تدفع الباحث إلى دراسته، إذ لم يكتفِ الصّفدي بالتّرجمة للعميان بل أعطى علّة العمى حقّها من الاهتمام والإحاطة بكلّ جوانبها، وقد ألّف بعد كتابه هذا كتابه (الشّعور بالعُور)[2] وخصّصه لأصحاب علّة العُور متّبعاً الطّريقة نفسها في عرض المادة.

(1) نكت الهميان 15- 17.

(2) الشعور بالعور، مطبوع، حقّقه واستدرك عليه د.عبد الرّزاق حسين، دار عمار، الطّبعة الأولى 1409هـ - 1988م، الأردن – عمان.

مشكلة البحث:

تتلخّص مشكلة البحث في السّؤال الآتي:

هل يُعدّ كتاب (نكت الهميان) من كتب تراجم العميان أو من الكتب الموسوعيّة التي تناولت أخباهم وأحوالهم؟

ويمكن أين يتفرّع عن هذا السؤال ما يأتي:

1. هل وُفق الصّفديّ في الجمعِ بين تراجم العميان والتّوسّع في علّة العمى؟

2. ما الذي ساعد الصّفدي على الجمع بين تراجم العميان والموسوعيّة في علّة العمى؟

سنسعى إلى حلّ مشكلة البحث عن طريق الإجراءات البحثيّة الّتي يتطلّبها موضوع البحث كالاستقصاء والتّحليل والاستنتاج والشّرح والتّوضيح والتّعليل، وسنعرض نتائج البحث في الختام.

هدف البحث:

دراسة كتاب له أهميّته وقيمته في المكتبة العربيّة، وبيان فكر المُؤلّف ومنهجه، وقدرته على التّأليف التّراجمي والموسوعي، والجمع بينهما، فضلاً عن إظهارِ جهودِ الصّفدي في ذكر كل من عرف أنّه وُلد أعمى، أو طرأ عليه العمى بمرضٍ أو غيره، وهو أمرٌ يبرزُ صبر الصّفدي، ودقّته في التّقصّي، والاصطفاء الصّحيح لمادّة الكتاب.

علّنا نقدّم صورة واضحة لملّف موسوعي الثّقافة ترك بصمة في ضروب التّأليف المتنوّعة[1].

(1) فقد ألّف الصّفديّ في الأدبِ ومن ذلك: التّذكرة الصّفديّة، تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، وفي الشّعر: ديوان شعره، وما اختاره لشعراء عصره (ديوان العصماء)، وفي النّقد: ذخيرة الثّائر على المثل السّائر، وفي اللغة: غوامض الصحاح، وفي التّراجم: منها ما هو في التّراجم العامّة كالوافي بالوفيات، ومنها ما هو مختص برجال عصره كأعيان العصر وأعوان النّصر، ومنها ما هو مختصّ بفئة معيّنة من النّاس كنكت الهيمان وهو في تراجمِ العميان، والشعور بالعُور وهو في تراجم العوان.

منهج البحث:

اعتمدنا المنهج الوصفي التّحليليّ لمناسبته طبيعة موضوع البحث، وما يحتاج إليه من إجراءات بحثيّة كالاستقراء والتّحليل والاستنتاج والاستشهاد والوصف والبرهنة، وتتبع الجزئيات، بغية وصف الكتاب بدقّة وبيان منهج الصّفديّ في عرض مادته التي جمعت بين توضيح علّة العمى وعرض تراجم أصحابها من المشاهير وغيرهم وصولاً إلى الحكم على الكتاب حكماً دقيقاً وموضوعيّاً يتضمّن حل مشكلة البحث.

منهج الصّفديّ في نكت الهميان:

عرض الصّفدي كتابه ضمن خطبة، وعشر مقدّمات، وخاتمة لهذه المقدّمات، ونتيجة وضّح فيها غرضه من تأليف الكتاب، وساق بعدها تراجم من وقع اختياره عليهم من العميان وفق الترتيب الهجائي.

تفضي القراءة المعمقة لمادة الكتاب وطريقة الصّفدي في عرضها إلى ملاحظة الأمور الآتية المتعلّقة بمنهجه؛ التّنظيم والدّقة والأمانة العلميّة والموسوعية.

أوّلاً: التّنظيم

اتّبع الصّفديّ منهجاً واضحاً، وطريقة منظّمة في عرض مادّة الكتاب بدءاً من الخطبة وانتهاءً بآخر ترجمة وردت فيه.

فقد ابتدأ بخطبة ناسبت موضوع الكتاب والغرض منم تأليفه، قال فيها: "الحمد لله الّذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، ولا يحتاج في تدبير ملكه إلى المؤازرين ولا إلى الأنصار، ... نحمده على نعمه الّتي نوّرت بصائرنا فرفعتنا إلى معالم الهدى، وفتحت

انظر الدّرر الكامنة لابن حجر 176/2، وشذرات الذّهب 201/6 ذكر ابن العماد أنّه وقف على ترجمة للصّفدي كتبها بنفسه، وانظر النّقد الأدبي في القرن الثّامن الهجري بين الصفدي ومعاصريه، د. محمد علي سلطاني ص78-85 أحصى له ستّة وأربعين مصنفاً، وانظر الشّعور بالعور 9-3.

أبصارنا فجرّتنا عن مغارمِ الهدى، ... ونشهدُ أنّ سيدنا محمّداً عبده ورسوله الّذي جعل رسالته إلى الخلق نعمى، ورمى به الباطل فأصاب شاكلته وأصمى، وأنزل عليه في محكم الّذكرِ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى* أنْ جَاَهُ الأعْمَى[1]﴾". [2]

أشار إلى أنّه اطّلع على بعض كتب سابقيه الّذين ذكروا العميان فيها كالمعرفِ لابن قتيبة.

وتلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي، ورأس مال النّديم لابن بانه، ووضّح سبب تأليف الكتاب بقوله: "وجرى يوماً في بعض اجتماعاتي بجماعة من الأفاضل ذكر فصل استطردت بذكره في (شرح لامية العجم)[3] ذكرت فيه جماعة من أشراف العميان، فقال لي بعض من كان حاضراً: لو أفردت للعميان تصنيفاً تخصّهم فيه بالذّكر، لكان ذلك حسناً، فحداني ذلك الكلام، وهزّت عِطفي نشوة هذا المدام، على أن عزمت على جمع هذه الأوراق في ذكر من أمكن ذكره أو وقع إليّ خبره، وسميته: (نكت الهميان في نكت العميان".[4]

وبيّن أنّه رتّبه على مقدّمات ونتيجة، وأغناه بالفوائد الّتي لا يستغني الفاضل عن ذكرها، وانتقل الصّفديّ بعد ذلك انتقالاً سلساً منظماً إلى تلك المقّدمات الّتي بلغ عددها عشراً، تناول فيها علّة العمى، وخصص كل مقدمة للكلام على هذه العلة من جانب محدّد، **وساقها على النّحو الآتي:**

_المقدّمة الأولى: [5] فيما يتعلّق به من اللغة والاشتقاق.

(1) عبس: 1- 2.

(2) نكت الهميان ص 15.

(3) الغيث المسجم في شرح لامية العجم من مؤلفات الصفدي المطبوعة، وشرح فيها لامية العجم وهي منظومة أدبيّة للحسين بن علي الأصبهاني الملقّب بالطغرائي 515هـ، ونظّمها ببغداد 505هـ في وصف حاله وشكاية ومانه، شرحها الصّفديّ واعتنى بها من حيث اللغة والإعراب والبلاغة ورواية الأشعار.

(4) نكت الهميان ص 17. 18.

(5) نكت الهميان ص19.

_والمقدمة الثّانية: [1] فيما يتعلّق بذلك من جهة التّصريف والإعراب.

_والمقدمة الثّالثة: [2] في حدّ العمى.

_والمقدمة الرابعة: [3] في توجيه الآيات الكريمة من سورة عبس ﴿عَبَسَ وَتَوَلّى* أنْ جَاءَهُ الأَعمَى﴾[4] ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَغنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾[5]، والآيات الكريمة من سُورة فاطر ﴿وَمَا يَسْتَوِيْ الأَعْمَى وَالْبَصِير* وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ * وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[6]. فذكر سبب نزولها، وبيّن ما فيها من جوانب لغويّة وبلاغيّة[7].

_والمُقدّمة الخامسة: [8] فيما جاء في ذلك من الأخبار والآثار.

_والمُقدّمة السّادسة: [9] في مسألة جوار عمى الأنبياء والأئمة والقضاة، وامتناعه، أمّا

_المُقدّمة السّابعة: [10] فهي فيما يتعلّق بالأعمى من أحكام في الفروع فيما يُخالف فيه البصراء، وهي على مذهب الإمام محمّد بن إدريس الشّافعي رضي الله عنه.

_والمُقدّمة الثّامنة: [11] فيما يعتقده المنجمون في سبب عمى المولود.

_والمُقدّمة التّاسعة: [12] في نوادر العميان.

_والمُقدّمة العاشرة والأخيرة: [13] في شعر العميان وما قيل فيهم من الغزل وغيره.

(1) نكت الهميان ص23.
(2) نكت الهميان ص 26.
(3) نكت الهميان ص30.
(4) عبس 1-2.
(5) عبس 5-6.
(6) فاطر 19- 22.
(7) نكت الهميان ص 33.
(8) نكت الهميان ص 37.
(9) نكت الهميان ص 43.
(10) نكت الهميان ص 44.
(11) نكت الهميان ص 56.
(12) نكت الهميان ص 58.
(13) نكت الهميان ص 61.

أتبع الصّفدي المُقدّمات السّابقة بخاتمة[1] أشار فيها إلى ذكاء العميان، وسرعة بديهتهم مؤيداً كلامه ببعضِ الأشعار والأخبار الّتي تُؤكّد ذلك وجاء بعدها بنتيجة[2] ذكر فيها الغرض المطلوب من تأليف الكتاب.

وقد أحكم الصّفدي بسط المادة المعرفية المعلقة بالعمى والعميان على مقدّمات ذات عنوانان ناسبت المضمون، وحص على التّناسب المنطقي بين المقدّمات نفسها.

يتّضح التّوالي الصّحيح والمُنظّم بين المُقدّمتين الأولى والثّانية إذ بدأ بالعمى من حيث اللغة والاشتقاق ثُمّ تحدّث عنه من حيث التّصريف والإعراب، وبدأ أيضاً بين المقدّمتين التّاسعة والعاشرة إذ عرض بعض نوادر العميان ثُمّ أتى بما قيل في العميان من شعر غزلي وغيره وما نظموه هم من أشعار.

ومن جهة أُخرى عرض الصّفديّ المادة المعرفيّة ضمن المقدّمة نفسها عرضاً منظماً، فهو إمّا أن يأتي بالفكرة ثُمّ يسوق الشواهد لتأكيدها وإمّا أن يأتي بالشّاهد ثُمّ يشرحه ضمن الفكرة المرتبطة به، وهذا ما بدا جليّاً في المُقدّمة الرّابعة[3] والمقدّمة الثّامنة[4].

وبدأ بعد ذلك بعرض تراجم العميان من المشاهير والأعلام مرتبة على حروف المعجم، والتزم هذا التّرتيب في أسمائهم من الألف إلى الياء، باستثناء الحروف التّاء والثاء والذال والضاد والظاء واللام، والظاهر أنّه لم يقع على أحدٍ ممّن أصابته علّة العمى يبدأ اسمه بأحد الحروف السّابقة.

فمن ذلك الأسماء الّتي أوردها في حرف الهمزة: [5]

إبراهيم بن إسحاق، ثمّ إبراهيم بن جعفر، ثمّ إبراهيم بن سعيد، ثمّ إبراهيم بن سليمان، ثمّ إبراهيم بن محاسن، ثمّ إبراهيم بن محمّد، ثمّ إبراهيم بن مسعود، وقد التزم الصّفدي

(1) نكت الهميان ص 68.
(2) نكت الهميان ص 71.
(3) نكت الهميان ص 30.
(4) نكت الهميان ص 56.
(5) نكت الهميان ص 71- 74.

التّرتيب الهجائي في أسماء الآباء، أيضاً إذا تشابهت أسماء الأبناء زيادة في التّنظيم والتّرتيب كما في المثال السّابق، والأمر نفسه في المثال الآتي الّذي أورد فيه أصحاب التراجم الذين تبدأ أسماؤهم بحرف العين[1]، إذ راعى التّرتيب الهجائي في أسمائهم وأسماء آبائهم.

علي بن محمد بن إبراهيم، ثم علي بن محمد بن الحسين، ثم علي بن محمد بن خلف، ثم علي بن محمد بن علي، وفي المثال الأوّل أنهى التّرجمة لمن اسمه إبراهيم، وانتقل إلى الترجمة من اسمه أحمد، إبراهيم بن مسعود، ثمّ أحمد بن إبراهيم بن حسن، ثم أحمد بن إبراهيم بن عبد الواحد، ثم أحمد الحسن، ثم أحمد بن يوسف، ثم انتقل إلى إدريس بن أحمد[2]، إسحاق بن خاروت، إسماعيل بن أحمد... إلخ.

وسار على هذا التّرتيب في جميعِ مواضع الكتاب، وهو ترتيب محمود ومرغوب في أي كتاب للتراجم؛ لأنّه يقدّم للقارئ مطلبه بيسر وسهولة، ويبعد عنه مشقّة البحث عن الترجمة المطلوبة في حال لم يلتزم المؤلف الترتيب الهجائي في أسماءِ الأبناءِ والآباء.

ثانياً: الدِّقَّة

حرص الصّفديّ على توخّي الدّقّة في مواضع كثيرة في كتابه، بدا ذلك جليّاً في ضبط الألفاظ والعناية بالتّفاصيل والجزئيّات والتّعليل.

1. **ضبط الألفاظ:** عني الصّفديّ بضبط الألفاظ ضمن الشّواهد والنّصوص، والأسماء الواردة في التّراجمِ حرصاً على القراءةِ الصّحيحةِ والسّليمةِ، وتجنّباً للتّصحيفِ النّاجمِ عن إهمالِ الضّبطِ الدّقيق، وهذا ما يلحظه الباحث في المقدمات والتراجم.

(1) نكت الهميان ص 184- 186.

(2) نكت الهميان ص 97.

فمن ذلك: "عَمَسَ: العَمَاس بالفتح الحرب الشديدة، ... عَمَرَّس مشدّد الرّاء هو السّديد الرّأي، القوي من الرجال".[1]

وفي موضع آخر: "أعمى يقود شجعه بالشين المعجمة المفتوحة والجيم المفتوحة والعين المهملة، وقيل: الشِجْعة بسكون الجيم الضّعيف".[2]

وفي التّراجم يضبط أسماء العميان ضبطاً دقيقاً فمن ذلك:

"إبراهيم بن محمّد التُطَيْلي بضمّ التاء ثالثة الحروف، وفتح الطاء المهملة، وسكون الياء آخر الحروف وبعدها لام وياء النسب".[3]

وفي موضع آخر "أحمد بن سليمان بن زبّان بالباء ثانية الحروف وقبلها زاي".[4]

فقد تُصَحَّف الكلمة "تقرأ زيّان أو رُبَّان أو رنّان"، لذلك عُني الصّفديّ بضبط ما يراه مستحقاً، ولم يكتفِ بالضّبط الدّقيق لكلّ حرفٍ، بل ذكر موقعه بين حروف الهجاءِ، وصفته من حيث الإعجام والإهمال زيادة في الدّقة.

2. التّفاصيل والجزئيّات: عني الصّفديّ برصدِ التّفاصيل، وتتبّع الجزئيّات المرتبطة بما يتحدّث عنه، وهذا ما يلحظه الباحث بإمعان النّظر في عباراته، إذ يبدو الاهتمام بعرض الفكرة الرئيسة وما يتشعّب عنها، فمن ذلك ما ذكره في المقدّمة السّادسة عن فكرة العمى عند الأنبياء،[5] فقد عرضها بتفاصيلها، وضرب قصّة النّبيّ يعقوب عليه السّلام مثالاً عليها، ولم يكتفِ بذكر النّتيجة أو الرّأي المرجّح في ذلك، وإنّما ذكر كل الجزئيّات المتعلّقة بها، فأوردّ الرّأي القائل إنّ العمى لا يجور على الأنبياء، والدّليل قوله تعالى: ﴿وابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحزْنِ﴾.[6]

(1) نكت الهميان ص 20، وانظر اللسان (عمس).

(2) نكت الهميان ص 25،26، وانظر مجمع الأمثال للميداني 363/2.

(3) نكت الهميان ص 74.

(4) نكت الهميان ص 81.

(5) نكت الهميان ص 43.

(6) يُوسف: 84.

وقولـه أيضـاً: ﴿فَارْتَدَّ بَصِيْرَا﴾،[1] وفصّـل الصّـفديّ فـي القول فـي ذلـك، فذكر أنّ بيـاضَ عينـي النّبـي يعقوب يعنـي ذهـاب السّواد، وهذا يدلّ علـى أنّ الحالـة الّتـي ارتدّ عنها كـان فيها أعمى.[2]

عرض الصّفديّ بعد ذلك الرّأي الآخر القائل إنّ بياض العين الّذي ذكر في الآيـةِ كناية عن غلبة البُكاء، وامتلاء العين بالدّموع، وأورد بيتي مجنون ليلى[3] ليؤكّد ذلك المعنى:

نظــرت كــأنّي مــن وراء زجاجــة إلــى الـدّار مـن فـرط الصّـبابة أنظـرُ

فعينــاي طــوراً تغرقــان مــن البكــا فأغشــى وطــوراً يحسِــران فأُبصِــرُ

واستفاض الصّفدي في شرح هذا المعنى، ورجّح أنّه هو المقصودُ ببياض العين.

فالنّبيّ يعقوب ما كان أعمى، بل ضعف بصره لكثرة الحزن والبكاء، وحين علم بحياة ابنه النّبـيّ يوسف، وأُلقي قميصه على عينيه، زال حزنه وقوي بصره، وهذا ما يليق بجناب النّبوّة وهو أن يكون النّبيّ كامل الأعضاءِ وصحيح الجوارح وبريئاً من العاهات.[4]

فالصّفديّ يجنحُ كثيراً إلى التّفصيلِ وعرض الجزئيّات في المواضعِ الّتي تحتاج إلى ذلك حرصاً منه على دقّة كلّ معلومة يذكرها في كتابه.

وهذا ما يلحظه الباحثُ أيضاً ضمن التّراجمِ، إذ كان يذكر صفات المترجَم له ذكراً دقيقاً مفصلاً يشعر القارئ فيه كأنّ صاحب التّرجمة ماثل أمام ناظريه.

---

(1) يوسف 96.

(2) نكت الهميان ص 43.

(3) قيس بن الملوّح، عاش في أيّام الدّولة الأمويّة، من أهل نجد، أحب ليلى العامريّة، ورفض أهله تزويجها له، فهام على وجهه ينشد الأشعار، ويتغنّى بحبّه العذريّ، توفّي سنة 68هـ. الأغاني للأصفهاني 1/2-10.

والبيات في ديوان مجنون ليلى ص105 طبعة دار مصر، والرواية:

نظــــرت كــــأنّي مــــن وراء زجاجــــة إلــــى الــــدّار مــــن مــــاء الصّــــبابة أنظــــرُ

فعينــــاي طــــوراً تغرقــــان مــــن البكــــا فأغشــــى وطــــوراً تحسِــــران فأُبصِــــرُ

(4) نكت الهميان ص 44.

فمن ذلك ما ذكره في ترجمة أبي حيّان الغرناطي المفسّر صاحب البحر المحيط محمّد بن يوسف "كان شيخاً حسن العِمّة، مليح الوجه، ظاهر اللون، مشرباً بالحمرة، منور الشّيبة، كبير اللحية، مسترسل الشعر فيها، لم تكون كثة، عبارته فصيحة لغة الأندلس، يعقد القاف قريباً من الكاف على أنّه ينطق بها في القرآن فصيحة، ... وكان أوّلاً يرى رأي الظّاهريّة، ثمّ إنّه تمذهب للشّافعي رضي الله عنه".[1]

لعلّ سبب اهتمام الصّفدي بالعرض المفصّل الّذي اجتزأنا منه السّطور السّابقة أنّ أبا حيّان كان شيخه، فالصّفديّ لازمه، وحفظ عنه، وقرأ عليه، ولكنّ هذه العناية بالتّفاصيل والجزئيّات سمة عامّة في الكتاب، إذ نجدها في كثير من التّراجمِ الّتي لم يكن الصّفديّ على صلة بأصحابها، فمن ذلك ترجمة عبد الله بن عليّ أمير المؤمنين المستكفي بالله، فقد ذكر كثيراً من التّفاصيل في صفاته وحياته، ومن ذلك: [2]

"بويع له عند خلع أخيه في صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمئة، وقبض عليه في جُمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين، وسملت عيناه، وسجن في هذه السّنة إلى أن مات سنة ثمان وثلاثين وثلاثمئة، عن ست وأربعين سنة، وكان أبيض جميلاً، رَبْعَة من الرّجال، خفيف العارضين، أكحل أقنى، ابن أمة اسمها غصن، ولم تدرك خلافته، وبايعوه بعد المطيع لله الفضل بن المقتدر، وكان يلقب الوسيم، ويسمى بإمام الحق، وخُطب له بالمستكفي، وكنيته أبو القاسم، ولم ينل الخلافة قبله من بني العباس أكبر سنّاً منه ومن المنصور، وخلعه معز الدّولة أحمد بن بويه، ولم يزل محبوساً في دار السّلطان إلى أن مات، فكانت خلافته سنة وأربعة أشهر ويومين، وأقام في السّجنِ ثلاث سنين وأربعة أشهر وأربعة عشر يوماً".

(1) نكت الهميان ص 239.

(2) نكت الهميان ص 153، 154.

وثمّة مواضع كثيرة في الكتابِ تدلّ على اهتمام الصّفديّ بالتّفاصيل والجزئيّات، لكنّ المقام لا يسمح بالتّوسّع فيها، لأنّ ثمّة أموراً أخرى في منهجِ الصّفديّ تحتاجُ إلى بيان وتوضيح.

3. التّعليل: إنّ دقّةَ الصّفديّ في كتابه دفعته إلى تعليل ما يحتاج في نظره وتقديره إلى ذلك وقد ربط تعليل بعض المواقف، وتفسير بعض الأمور في مادّة كتابه بالتّفاصيل والجزئيّات الّتي عني بذكرها، فكأنّه يريد أن يقدّم للقارئ مادّة كافية وافية واضحة المعالم من جميع جوانبها وزواياها، وهذا ما يبدو جليّاً في مقدّمات الكتاب والتّراجم فيه.

فمن ذلك أنّه ذكر في ترجمةِ أبي العلاء المعرّي أنّه سمّى نفسه رهين المحبسين، وعلّل الصّفدي ذلك لأنّه حبس نفسه في داره، وحبس عينيه في العمى.[1]

وفي موضع آخر علّل إصابة أبي جعفر القلعي المغربي بالعمى "بسبب ما نزل في عينيه لأنّه كان يُغتذى باللبن كثيراً يقصد بذلك ترطيب بدنه".[2]

وكان بإمكان الصّفدي ألّا يذكر علّة ما يذكره من الأحداث، ولكن لذكر العلّة ضرورة وفائدة، فهي تدلّ على تمكّن الصّفديّ من حفظه، ودقّته في تتبّع ما يذكره، وتقنع القارئ ويُرضي فضوله المعرفي، وتجذبه لتلقّي المعلومة وتثبيتها في الذّهنِ.

وهذا من مظاهرِ دقّة الصّفديّ الّتي يلحظها الباحث في مواضع كثيرة من الكتاب، منها أيضاً ما ذكره حين تحدّث عن حجّ الأعمى: "ومنها أنّه لا يجب عليه الحج إذا لم يجد قائداً متبرّعاً، أو كان عاجزاً عن أجرته، لأنّ ذلك من عدمِ الاستطاعةِ، ولا يجوز له الاستنابة عنه".[3]

(1) نكت الهميان ص 86.

(2) نكت الهميان ص 188.

(3) نكت الهميان ص 48.

وفي موضع آخر ذكر أن سنة أربع وتسعين للهجرة سمّيت سنة الفقهاء، وعلل التّسمية بوفاة سبعة من الفقهاء في هذه السّنة، وعنهم انتشر العلم والفقه. (1)

ومن ذلك أيضاً تعليله ضعف رأي الكوفيين في جواز صياغة التّفضيل والتّعجّب من الأسود والأبيض، أي: ما أسوده! ما أبيضه! بقوله: "لأنّ غالب أفعال الألوان لا تأتي إلّا على افعلّ وافعالّ بتشديد اللام فيهما، وهُما زائدان على الثّلاثي، ولا تُبنى أفعل التّعجّب وأفعل التّفضيل إلّا من الثّلاثيّ المجرّد من الزّيادة، لأنّ أفعل في مثل (ما أحسن زيداً!) الهمزة فيه زائدة، ودخلت عليه لتنقل اللازم إلى المتعدّي، فيصير الفاعل مفعولاً، إذ أصله: حَسُنَ زيدٌ، فلمّا دخلت الهمزة على الفعلِ صار الكلام شيءٌ حسّن زيداً". (2)

فمن الواضح أنّ التّعليل الّذي اهتمّ الصّفديّ لم يقتصرْ على جوانب محدّدة، فهو يعلّل كثيراً من الظّواهر والمواقفِ والآراء والتّوجيهات في الموضوعات الّتي ناقشها ضمن مقدّمات الكتاب، وفي التّراجم الّتي أتى بها بعد ذلك.

ثالثاً: الأمانة العلميّة

بدا الصّفدي في كتابه مؤلّفاً جليلاً وأميناً في النّقلِ والاقتباس والتّوثيق، وقد ظهر ذلك بذكر أسماء العلماء الّذين نقل عنهم، وعزو الآراء والأقوال إلى أصحابها.

_عزو الآراء إلى أصحابها:

حرص الصفديّ على نسبة الآراء والأقوال إلى أصحابها من العلماءِ والأدباءِ والفقراءِ، وهذه سمة عامّة مهمّة يَلحظها الدارس في (نكت الهميان) وغيره من مؤلّفات الصّفديّ.

فمن ذلك ذكره رأي سيبويه حين وقف على التّركيب (ما أعطاه للدّينارِ والدّرهم!).

(1) نكت الهميان ص 108.

(2) نكت الهميان ص 24.

"وشذّ قولهم: (ما أعطاه للدّنيا والدّرهم!) فتعجّبوا بالرباعي، وأجازه سيبويه، وكذا ما أولاه للمعروف! وما أفقره! جمله على أنّه ثلاثي، والصّحيح أنّه رباعي فلذلك حُكم بشذوذه".[1]

وفي موضع آخر ذكر رأي الإمام فخر الدّين الرّازي في تفسير قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلّى﴾. [2]

"المسألة الثّانية: القائلون بصدور الذّنب عن الأنبياء تمسّكوا بهذه الآية، وقالوا: لما عاتبه اللهُ في ذلك الفعل دلّ على أنّ ذلك الفعل كان معصية، وهذا بعيد، فإنّا قد بيّنا أنّ ذلك كان هو الجواب المتعيّن، وهذا جارٍ مجرى ترك الأفضل وترك الاحتياط، فلم يكن هذا ذنباً البتّة".[3]

وفي موضع آخر ذكر رأي الإمام الذّهبي في عقيدة المعرّي فقال:

"وأمّا الشّيخ شمس الدّين الذّهبي فحكم بزندقته في ترجمة لها طولها في تاريخ الإسلام له". [4]

تحسن الإشارة إلى أن الصّفدي ناقل أمين وموضوعي في عرض الأخبار والآراءِ، فهو نسب القول إلى صاحبه، ولا يتزيّد في النقل، ولا يؤول في الكلام ليناسب ما يريده، وما يدلّ على ذلك نقوله الكثيرة في الكتاب، ومن ذلك ما أورده عن المعرّي، ممّا يُحسب له أوة يحسب عليه، فقد ذكر ما قاله الذّهبي عنه، وذكر أيضاً ما قاله غيره.

"وحُكي لي عن الشّيخ كمال الدّين بن الزملكاني _رحمه الله تعالى_ أنّه قال في حقّه:

(1) نكت الهميان ص 24. 25، للتّوسع في مسألة بناء أفعل التّعجب انظر الكتاب لسيبويه 72/1، وأوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك 224/3.

(2) عبس: (1).

(3) نكت الهميان ص 33 والكلام للرازي، وقد أورده الصّفدي نقلاً عنه، وانظر مفاتيح الغيب (التّفسير الكبير) للرّازي المجلد 16 الجزء 31 ص60 المسألة الثّانية، وانظر للتّوسع تفسير القاسمي 9/ 406.

(4) نكت الهميان ص 87، وانظر تاريخ الإسلام للذّهبي 200/30 وما بعدها.

هو جوهرة جاءت إلى الوجود وذهبت، وسألت الحافظ فتح الدين محمّد بن سيد النّاس، فقلت له: ما كان رأي الشّيخ تقي الدّين بن دقيق العيد في أبي العلاء، فقال: كان يقولُ: هو في حَيرة". [1]

ويتابع الصّفديّ تاركاً أمر المعريّ إلى اللهِ عزّ وجلّ: "وهذا أحسن ما يُقال في أمره لأنّه قال: [2]

خُلِــقَ النّــاسُ للبقــاءِ فضــلّتْ أمّــــةٌ يحســــبونهم للنفــــادِ

إنّمــا ينقلــون مــن دار أعمــا لٍ إلــى دارِ شَــقوةٍ أو رشــادِ

ثُمّ قال [3] في لزوم ما لا يلزم:

ضـحكنا وكـان الضّـحك منّـا سـفاهة وحُـقّ لسـكّان البسـيطة أن يبكـوا

تُحطّمنــا الأيّــام حتّــى كأنّنــا زجــاج لا يُعــاد لنــا سَــبْكُ

فالأوّل اعتراف بالمعاد، والثّاني إنكار له، وهذه الأشياء في كلامه كثيرة، وهو تناقض منه وإلى اللهِ ترجع الأمور". [4]

فلم يكتفِ الصّفدي برأي واحد في المعريّ، وإنّما ذكر رأي من يؤيده ومن يعارضه، فلم يحكم عليه، بل ترك أمره لله، فلعلّه كان زنديقاً وتاب وغفر اللهُ ذنبه، ولعلّه لم يكن على تلك الحال، وما ورد في شعره من شطحات الشّعراء ومبالغاتهم.

فهذا العرض يدلّ على أمانة الصّفديّ وموضوعيته وقدرته على إظهار شخصيّته العلميّة في المواضع المناسبة، فهو يذكر آراء غيره ذكراً دقيقاً أميناً فلا يتكلّم بلسانهم، ولا يغفل أسماءهم، وفي الوقت نفسه يعبّر عن رأيه وتوجيهه الخاصّ على نحو يبدو فيه تواضع العالم وأمانته وثقته بصحّةِ ما يقدّمه.

(1) نكت الهميان ص 88.

(2) ديوان سقط الزند للمعري ص51.

(3) لزوم ما لايلزم للمعرّي 147/2 وفيه ورد يحطمنا ريب الزّمان.

(4) نكت الهميان ص 88.

وتكتمل أمانة الصّفديّ بذكر المصادر التي استقى منها الاقتباسات والنّصوص الّتي أغنى بها كتابه، فمنذ ابتدأ كتابه ظهرت أمانته العلميّة في رد المعلومة إلى مصدرها، وذكر عنوانات الكتب الّتي نقل عنها، فقد ذكر في خطبة الكتاب [1] أنّه عاد إلى كتاب "المعارف" لابن قتيبة، وكتاب "رأس مال النديم" لابن الجوزي، وكتاب (تلقيح فهوم أهل الأثر) لابن الجوزي، وفي موضع آخر [2] نقل عن كتاب "الحيوان" لأرسطو، ونقل أيضاً عن "مجمع الأمثال" للميداني كثيراً من الأمثال منها: (أحفظ من العميان)، [3] وفي مواضع كثيرة من الكتاب ذكر الصّفديّ المصادر التي عاد إليها، وأخذ منها ما يناسب مادّة كتابه فمن ذلك "تحفة القادم" لابن الأبار، و"البيان والتبيين" [4] للجاحظ، و"الأم" [5] للإمام الشّافعي، و"النسب" [6] للسمعاني، وغيرها كثير.

رابعاً: الموسوعيّة

ظهرت موسوعيّة الصّفدي ضمن (نكت الهميان) في مقدمات الكتاب، والشواهد المتنوعة، والفوائد التي ذكرها ضمن تعقيباته وشروحه وردوده وتراجمه.

ولم تكن السّمة الموسوعيّة سبباً في اضطراب منهج الصّفديّ كالاضطراب الّذي نلحظه في كتب الثّقافة الأدبيّة العامّة، إنّما كانت متضافرة مع التّنظيم وحسن التّنسيق في الكتاب، وهذا ما يبدو جليّاً في عرض علّة العمى من جوانب متعدّدة، كاللغوية والنحوية الصّرفية والأدبيّة والفلسفية والاجتماعيّة والطبية وغيرها.

(1) نكت الهميان خطبة الكتاب ص17

(2) نكت الهميان ص 28.

(3) نكت الهميان ص 68، وانظر مجمع الأمثال للميداني 406/1.

(4) نكت الهميان ص 68.

(5) نكت الهميان 47.

(6) نكت الهميان ص 84.

وهي جوانب تستحق أن تكون في كتابٍ مُستقلّ يتناول العمى والعميان بالبحث والدّراسة، **وسنقف عند هذه الجوانب لنبيّن موسوعيّة الصّفدي في الكتاب:**

_الجوانب اللغوية:

عرضها الصّفدي ضمن المقدمة الأولى، واجتهدَ في تقصّي الجذور اللغوية الّتي بدأت بالحرفين الأوليين من الجذر (عمي) العين والميم واجتمعت مع سائر حروف الهجاء، وعن ذلك يقول: "فيما يتعلّق به من اللغة والاشتقاق، قد تتبعت أفراد وضع اللغة العربيّة، فرأيت العين المهملة والميم كيفما وقعتا في الغالب وبعدها حرف من حروف المعجم، ولا يدلّ المجموع إلّا على ما فيه من معنى السّتر، أو ذهاب الصّواب على الرّأي". [1]

فقد وضّح الصّفديّ أنّ الجذور اللغويّة الّتي بدأت بالعين والميم وانتهت بحرف ثالث وأكثر من سائر حروف المعجم اشتركت في معنى الخفاء والسّتر والتّلاشي والزّوال، وهو معنى مرتبط بالعمى؛ لما فيه من معنى فقد البصر، فأورد الجذور: [2]

"عمج، عمّر، عمس، عمرّس، عملّس، عمش، عملّص، عمط، عمرط، عملّط، عمق، عمل، عمم، عمن، عمه، عمي"، وبسط القول في كلّ جذر منها، وما يُشتق منه وذكر وجود معنى الخفاء والسّتر فيها، ففي معنى الجذر (عمس): "وليل عماس أي مُظلم يعني ساتر للأشخاص". [3] وفي الجذر "عمم" "العِمامة ما توضع على الرأس، وهي تستره... وعمّ اللبن إذا علته الرّغوة كالعمامة فسترته"، [4] وفي الجذر "عمي" "العمى: ذهاب البصر وعدم الرؤية واستتار المرئيّات عن النّاظر". [5]

(1) نكت الهميان ص 19.
(2) نكت الهميان ص 19-23
(3) نكت الهميان ص 20.
(4) نكت الهميان ص 22.
(5) نكت الهميان ص 22.

وضمن المنحى اللغوي عُني الصّفدي بالمفرد والمثنى والجمع، والمذكّر والمؤنّث، والاشتقاق والمصادر، فمن ذلك:

"رجل أعمى وأعميان وأعمَون، وأعمون جمع سلامة، وأجاز الكوفيّون ضمّ الميم في الجمعِ، ونقول في جمع التّكسير عميان وعُمي".[1] و"رجلٌ عمّي القلب أي جاهل وامرأة عَمِية بتخفيف الياء على وزن فَعِلة". [2] وفي الاشتقاق: "عمل: اعتمل الرجل إذا اضطرب، ورجل عَمِلَ إذا كان مطبوعاً على العملِ، ورجل عمول أيضاً، وطريق مُعمّل كحب مسلوك، قيل فيه ذلك لما كثُرَ ركوبه من كلّ أحد على غير تبصّر لموضوع الأقدام، واليعمُلة النّاقة النّجيبة الصّبورة على المشي". [3]

وفي المصادر: "عمر: عَمِرَ يَعْمَرُ عمْراً وعُمْراً على غير قياس؛ لأنّ قياس مصدره التّحريك إذا عاش زماناً طويلاً". [4]

_الجوانب النّحوية والصّرفية:

بسط الصفدي القول في مادّةِ (عمي) من حيث التّصريف والإعراب وخصّص المقدّمة الثّانية لذلك، فوقف عند منع لفظ "أعمى" من الصّرف فقال: "أعمى لا ينصرف لما فيه من العلّتين الفرعيّتين وهُما: الصّفة ووزن الفعل" [5] وتابع شرحه من النّاحيةِ الصّرفيّة قائلاً: "ويكتب بالياء لأنّ مؤنّثه عمياء" [6] ويقصد الياء غير المنقوطة لأنّها على وزن أفعل مؤنّثه فعلاء مثل أعرج عرجاء.

(1) نكت الهميان ص 25.
(2) نكت الهميان ص 22.
(3) نكت الهميان ص 22.
(4) نكت الهميان ص20.
(5) نكت الهميان ص 23.
(6) نكت الهميان ص 23.

وضمن السّياق الصّرفي تحدّث عن صيغتي أفعل التّعجّب وأفعل التّفضيل في الألوان والعاهات، وذكر أنّه: "لا يُقال: هذا أسود من هذا، ولا يُقال: هذا أعور من هذا، بل الصَّواب هذا أشدّ سواداً، وهذا أشدّ عوراً". (1)

وتوسّع في مسألة صرفيّة خلافيّة بين البصريين والكوفيين مضمونها التّفضيل والتّعجّب من اللونين الأبيض والأسود، (2) وفي موضعٍ آخرَ ذكر النّسبة إلى أعمى فقال: "أعْموي والنّسبة إلى عمٍ عمَوي" (3) وذكر تصغيره فقال: "أتيته صكة عُمَيّ أي وقت الهاجرة، وهو تصغير أعمى، ثمّ إنّه صغر تصغير التّرخيم، كما صغّروا أسود وأزهر، فقالوا: سُويد وزُهير". (4)

_الجوانب البلاغيّة والأدبيّة:

يلحظ القارئ لنكت الهميان براعة الاستهلال عند الصّفديّ، بدءاً من المقدّمةِ التي تدلّ على امتلاكه ناصية الأدب، وميله نحو فنون البلاغة، فقد بدأ بمقدمة اختار فيها الألفاظ والتّراكيب والصّور الّتي تناسب موضوع كفّ البصر، منها:

"...صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة يتضوَّع منها الأرجُ، وتُرفع بها لهم الدرج، ما أفضى مضيق إلى فضاء الفرج، وسقط عن الأعمى ثقل الحرج".

فمن الواضح قدرة الصّفدي على رصف الكلام، وتوشيته بجميل الجناس والسّجع دون مبالغة وإفراط.

وفي مواضع كثيرة بدا اهتمام الصّفديّ بالجوانبِ الأدبيّة والبلاغيّة، فمن ذلك وقوفه عند التّقديم والتّأخير في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِيْ الأَعْمَى وَالْبَصِير* وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ *

(1) نكت الهميان ص 23.
(2) نكت الهميان ص 24.
(3) نكت الهميان ص 25.
(4) نكت الهميان ص 23.

وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ﴾، [1] إذ استفاض في بيان ذلك: "فإن قلت: كيف أخّر الأشرف (والبصير) و(ولا النور) وقدّم الأخس (الأعمى) و(الظّلمات) قلت: جاء به على أصل الواقع، لأنّ الكافر أعمى والكفار كانوا قبل البعثة، فلما بُعث النّبي صلّى الله عليه وسلّم انتقل من العمى إلى البصر، فإن قلت: وهذا ينقض عليك بقية الآية، وهو تقديم الأشرف على الأخس في مكانين وهو (الظل) و(الأحياء) و(الأحياء) و(الأموات)، قلت: لما ضرب المثل للمؤمن والكافر بالأعمى والبصير .. انتقل إلى بيان حاليهما، فأتى به على القاعدة في تقديم الأشرف على الأخس، ... ومن قال: إنّما أتى بذلك طلباً للمناسبة بين رؤوس الآي، ليناسب بين البصر البصير والنور والحرور فليس في شيء، والّذي ذكرته أدخل في أقسام البلاغة وأثبت على محل الإعجاز". [2]

وفي الموضع السّابق نفسه تحدّث عن تكرار (لا) وعدم تكرارها في الآيات الكريمة السابقة موضحاً أنّ تكرار حرف النّفي يكون حين تكون المناخاة متحقّقة وللتوكيد أيضاً، وفي هذا إشارة بلاغيّة لطيفة.

وقد ظهر الجانب الأدبيّ بجلاء في المقدّمة السّادسة التي عرض فيه الصّفدي اختياراته من شعر العميان، وما قيل فيهم من الغزل وغيره، فمن ذلك:

"قال بشّار بن برد: [3]

يا قومُ أذني لبعض الحيّ عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا

قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم: الأذن كالعين توفي القلب ما كانا" [4]

(1) فاطر: 19_22.

(2) نكت الهميان ص34،35.

(3) بشار بن برد بن يرجوخ العقيلي أبو معاذ، شاعر مطبوع من مخضرمي الدّولتين الأمويّة والعبّاسية، إمام شُعراء المولدين، ولد أعمى، نبغ في الشّعر ولا شيما المدح والهجاء، كان حاد المزاج، فضيح اللسان، قليل التّكلّف، توفّي 167هـ، انظر وفيات الأعيان لابن خلكان 271/1 والأعلام للزركلي 52/2.

(4) نكت الهميان ص62، وانظر ديوان بشار بن برد ص 194، 195.

وفي موضع آخر ذكر ما قاله ابن سناء الملك [1] في عمياء:

وثمّة أبيات كثيرة تضمّنت مواقف المكفوفين ومشاعرهم بسبب العمى، وإيمانهم بأنّ الله عزّ وجل عوضهم عن البصرِ بنور البصيرة، لكن المقام هاهنا لا يسمح بذكرها خشية الإطالة، وما يمكن قوله: إنّ هذه الاختيارات منحت مادّة الكتاب جماليّة فريدة، لأنّها لامست أحاسيس العميان ومشاعرهم المرهفة، وقدرتهم على التّفاعل مع كلّ ما يحيط بهم، فكان الشّعر خير معبّر عنهم وعن كثير من التّفاصيل المرتبطة بهم.

_الجوانب الفلسفيّة:

تحدّث الصّفديّ في المُقدّمة الثّالثة عن حدّ العمى، وأشارَ إلى اختلاف الفلاسفة والمتكلّمين في مفهوم العمى والصّمم، وهما معنيان وجوديان متضادان لأنّ العمى عدم البصر عما من شأنه أن يبصر، وكذا الصّمم عدم السّمع عما من شأنه أن يُسمع، ويتابع قائلاً: "تاريخ الفلاسفة في هذا المتكلمين نزاعاً شديداً، وقالوا: إنّ تقابل السّمع والصمم، وتقابل العمى والبصر تقابل العدم والمَلَكة لا تقابل الضّدين". [2]

وفي قضيّة فضل السّمع على البصر قال: "ومن قال إنّ البصرَ أفضل استدلّ بأن قال: متعلق الباصرة هو النّور، ومتعلّق القوّة السّامعة هو الريح، والنّور أفضل من الرّيح". [3]

ويبدو الصّفديّ حريصاً على المُناقشة الموضوعيّة الّتي تُخاطبُ العقول وتقنعها، فمن ذلك: "قالوا: وبالسّمع تصل نتائج العقول، فالسّمع كأنّه سبب لاستكمال العقل بالمعارفِ

(1) القاضي البليغ أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن القاضي سناء الملك محمّد بن هبة الله، له رسائل مع القاضي الفاضي، له مصنّفات أدبيّة وديوان شعر، توفّي عام 608هـ. انظر: وفيات الأعيان لابن خلّكان 61/6، وشذرات الذّهب لابن العماد 36/5،35 – 65/7. وسير أعلام النبلاء للذّهبي 480/21.

(2) نكت الهميان ص26.

(3) نكت الهميان ص27.

والعلوم، وهو مُتصّرف في الجهات السّت، والبصر لا يتصّرف إلّا فيما يُقابله من الجزئيّات". (1)

_الجوانب الدّينيّة والفقهيّة:

ففي المُقدّمة الرّابعة (2) تحدّث عن سبب نزول الآية الكريمة: ﴿عَبَسَ وَتَوَلّى* أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى﴾. (3) فذكر قصّة هذا الأعمى وهو ابن أم مكتوم الّذي حضر مجلس رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلّم، وكان عنده صناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام، فطلب منه الأعمى أن يقرئه ويعلمه ممّا علّمه الله، وكرر ذلك، فقطع رسولُ الله كلامه وعبس وأعرض عنه، فنزلت الآيات الكريمة، وكان رسول الله بعد تلك الحادثة يكرمه ويقول إذ رآه: "مرحباً بمن عاتبني فيه ربي، ويقول له: هل لك من حاجة؟ واستخلفه على المدينةِ مرّتين". (4)

توسّع الصّفديّ ضمن هذه الجوانب، وأتى بما ذكره الإمام فخر الدّين الرّازي من الأسئلة المتعلّقة بتفسير العتاب الرّباني الّذي وقع على النّبيّ الكريم بشأن الأعمى مع الأجوبة، وكان الصّفديّ يذكر رأيه أيضاً ويقدم ردّه على الأسئلة ووقف على الآيات الكريمة: ﴿وَمَا يَسْتَوِيْ الأَعْمَى وَالْبَصِير* وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ﴾ (5) وفسّر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكَا* ونَحْشرهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى﴾. (6) وممّا قاله: "قال مجاهد والضّحاك ومقاتل: أعمى عن الحجّة". (7)

(1) نكت الهميان ص27.

(2) نكت الهميان ص30 -32.

(3) عبس: 1-2.

(4) نكت الهميان ص 31، وانظر أسباب النّزول للواحدي ص304 مكتبة القرآن، وتفسير ابن كثير 470/4.

(5) فاطر: 19 -22، وانظر نكت الهميان ص33.

(6) طه: 124، 125 وانظر نكت الهميان ص33.

(7) نكت الهميان ص36 وانظر تفسير الطّبري 165/16، والدرر المنثور للسيوطي 312/4.

وفي كلّ من المُقدّمتين [1] السّادسة والسّابعة تناول بعض القضايا والمسائل الفقهية والأمور الشّرعيّة المُتعلّقة بالعمى، منها: العمى لا يجوز على الأنبياء لأنّ مقام النّبوّة أشرف من ذلك، ووقف عند موضوعات متعلّقة بالكفيف منها: حجّه وإمامته وبيعه وشراؤه وزواجه ووصيّته وجهاده وشهادته وروايته، وما قيل منهما، وساقها ضمن أسئلة وأجوبة.[2]

_الجوانب الطبيّة والحيويّة والصّحيّة:

أورد الصّفديّ بعض الإشارات الطّبيّة والصّحيّة المُتعلّقة بالحواس، ومنها السّمع أيضاً، أيضاً الرؤية عند الإنسان والحيوان، فمن ذلك:

"السّمع أصل النّطق، لهذا لا نرى الأخرس إلا أصم، وقيل: سبب خرسه أنّه لم يسمع شيئاً ليحكيه، والبصر إذا بطل لم يبطل النّطق". [3]

وفي موضع آخر ذكر رأي الطّبيب الرئيس ابن سينا في رؤيا المولود:

"إنّ المولد يضحك بعد الأربعين يوماً، ويرى الرّؤيا بعد أربعة أشهر"، [4] وذكر أيضاً ما قاله عن حيوان الخِلد: "وكل حيوان يلد حيواناً فله عينان إلا الخلد، ويشبه أن يكونَ له عينان، لكنّهما مغشيّتان بجلدٍ رقيق لضعفهما، وإنّما يدركان الأظلال دور الألوان والأشكال". [5]

فاهتمام الصّفديّ بذكر هذه الحقائق الحيويّة يشيرُ إلى رغبته في تقديمِ الفوائد ضمن المنحى الموسوعيّ الّذي اتّبعه في الكتاب، وضمن هذا المنحى أوردَ سؤالاً مهمّاً مُتعلّقاً بحيلةِ الأعمى وأثرها في رؤية المنامات، فهل الأعمى حظّ في الرؤيا؟

(1) نكت الهميان ص43، 44.
(2) نكت الهميان ص50 56.
(3) نكت الهميان ص 27.
(4) نكت الهميان ص 27.
(5) نكت الهميان ص 30.

وضّح الصّفديّ "أنّ المسألةَ ذات تفصيل، وهو أنّ الأعمى إن كان قد طرأ عليه العمى بعدما ميّز الأشياء، فهذا يرى لأنّ القوّة المُتخيّلة منه ارتسم فيها صور الأشياء من المرئيّات،... وإذا كان الأعمى قد ولد أكمه ولم ير الوجود وما فيه من المرئيّات، فهذا يرى الأحوال التي يقابلها ويباشرها، كما يرى أنّه يأكل، أو أنّه يشرب، أو أنّه راكب على فرس، إلى غيرِ ذلك من الأحوال الّتي يُباشرها". (1)

ومن ذلك أنّه أورد ما ذكره أرسطو في كتابه "الحيوان" عن الخطاطيف، (2) فقال: "الخطاطيف إذا عَمِين أكلن من شجرة يُقال لها عين شمس فيبصرنَ بعد العمى، وهذه الشّجرة لها منفعة في العين الّتي لا تبصر والتي يخاف عليها من اجتماع الماء". (3)

فالصّفديّ حريص على البقاءِ ضمن دائرة العمى العميان، فكلّ ما أتى به ضمن الجانب الطّبي والحيوي لم يخرج عن محيطها، وهذا يدلّ على موسوعيّة منظّمة، نأت بالصّفدي عن الاستطرادِ والاضطراب والخروج عن الموضوع المطلوب.

_الجوانب الفلكيّة:

خصّص الصّفدي المقدّمة الثّامنة لبيان ما يعتقده المنجمون في سبب عمى المولود وعرض أقوالهم في صفات المواليد الجسدية والمعنوية وإصاباتهم بالعلل العضوية نتيجة لارتباط ولاداتهم بالأبراج وحركة الكواكب، ومع ردّ الصّفديّ عليهم وتفنيده مزاعمهم نجده قد ذكر ما ذهبوا إليه حرصاً منه على اكتمال المعرفة الموسوعية المرتبطة بعلة العمى، فمن ذلك:

"يزعم المنجمون أن المولود إذا ولد وأحد النّيرين في الكسوف أو الخسوف فإنّه يولد أعمى، وإذا ولد المولد والطالع الحوت وزُحل والمريخ فيه كان أعمى ناتئ العينين". (1)

(1) نكت الهميان ص 27.

(2) جمع خطاف، ضرب من الطّيور القواطع يُدعى السّنونو، عريض المنقار، دقيق الجناح طويل، المعجم الوسيط (خطب).

(3) نكت الهميان ص 30.

وساق كثيراً من مزاعمهم الفلكيّة الغريبة وردّ عليها ردّاً منطقيّاً مُقنعاً فقال:

"قلت هكذا يعتقدُ المنجون، وليس لهم على ذلك دليل قطعة يذكرونه، ولكنّهم يزعمون أنّ ذلك مبنيٌّ على التجربة والإلهام، والّذي يدلّ من حيث النّظر والبحث على أنّ هذه الأشياء الّتي يقولون إنّ المولود إذا ولد في الدّرجة الفلانيّة من البرج الفلاني دلّ على أن يكون كذا وكذا باطلة لا أصل لها يرجع إليه أولو العقول السّليمة". [2]

_الجوانب الاجتماعيّة والإنسانيّة:

لم يغفل الصّفديّ هذه الجوانب المرتبطة بالعمى والعميان، فأشار إلى تعبيرات الرؤى وتأويلاتها، فمن ذلك: "قال العابرون: من رأي أنّه أعمى فإنّه ينسى القرآن، لقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾، [3] ومن رأى أنّ إنساناً أعماه فإنّه يضله"، [4] وفي موضع آخر: "وأما فقء العين فمن رأي أن عينه فُقِئت فإنّه يُتقاضى أو يُجازى بشيء كان منه لقوله تعالى: ﴿والعَينُ بالعَيْنِ﴾[5]". [6]

وقد عرضَ الصّفديّ أيضاً اختياراته من أخبار العميان وقصصهم ونوادرهم مُظهراً ذكاءهم وسرعة بديهتهم وحضور جوابهم، وكرم أخلاقهم، ولعلّ في ذلك أثراً اجتماعياً طيباً للمكفوفين يجيد كلّ من يقرأ ما كتبه الصّفديّ عنهم، فكأنّه أراد أن يكوّن انطباعاً لطيفاً عنهم، ويمحو الصّورة غير المحبّبة الّتي رسمها بعض النّاس لهم، فمن نوادرهم:

(1) نكت الهميان ص56.
(2) نكت الهميان ص57.
(3) طه 125،126.
(4) نكت الهميان ص 28.
(5) المائدة: 45.
(6) نكت الهميان ص28،29

"قال بعضهم لبشار بن برد: ما أذهب الله كريمتي مؤمن إلّا عوّضه خيراً منهما، فبمَ عوضك؟ قال: بعدم رؤية الثّقلاء مثلك" (1)

ومن ذلك أيضاً: "قال المتوكّل يوماً: لولا ذهاب بصر أبي العيناء لنادمته، فبلغه ذلك، فقال: قولوا له: إن أغفيتني من قراءةِ نقوش الخواتيم، ورؤية الأهلّة صلحت لغير ذلك، فبلغ المتوكّل ذلك فضحك ونادمه". (2)

وفي ذلك إشارة من الصّفدي إلى مرونة النّفس، وقفة الرّوح، ولطف المعشر.

ومن كرم أخلاقهم ووقارهم ما قاله أحد العميان ردّاً على من قال له: سُلبت أحسن ما في وجهك: "صدقت غير أنّي مُنعت النّظر إلى ما يلهمني، وعُوضت الفكرة في العملِ فيما يجدي". (3)

ومن ذكائهم أنّ احدَ العميان كان يصيد الطّائر الغريب، فسئل عن ذلك فقال: "إنّ طيوري أبخرها ببخور أعرفه وأطيرها، فإذا طارت ونزلت ومعها الطّير الغريب هدرت حوله فأعرف أنّ معها غريباً، فأرمي العبّ (4) على الجميع، وآخذها واحداً بعد واحد، فأشمه، فالّذي ليس فيه شيء من بخوري أعرفه أنّه غريب فأصطاده". (5)

وفي مواضع كثيرة من تراجم المكفوفين أشار الصّفديّ إلى ذكائهم وفطنتهم، ففي ترجمة شافع بن عليّ بن عبّاس بن عساكر730هـ ذكر أنّه "كان إذا أراد أيّ مجلد كان قام إلى الخزانة الّتي هو فيها وتناوله منها، كأنّه الآن وضعه فيها". (6)

وفي خاتمة مقدّمات الكتاب قال الصّفديّ: "قلّ أن وجد أعمى بليداً، ولا يُرى أعمى إلّا وهو ذكيّ منهم التّرمذي الكبير الحافظ، والفقيه منصور المصري الشّاعر، وأبو العيناء،

(1) نكت الهميان ص 58.
(2) نكت الهميان ص59.
(3) نكت الهميان 41.
(4) الشبك.
(5) نكت الهميان ص70.
(6) نكت الهميان ص 136.

والشّاطبي المقري، وأبو العلاء المعرّي، والسّهيلي صاحب الرّوض الأُنف، وابن سيده اللغوي، وأبو البقاء العكبري...". (1)

فهذا إقرار واضح من الصّفديّ بذكاء المكفوفين وتميزهم وتمكنهم من إثبات قدراتهم في كثير من الحقول المعرفيّة.

وعزا ذلك التّفوق إلى: "أنّ ذهن الأعمى وفكره يجتمع عليه، ولا يعود متشعّبا بما يراه، ونحن نرى الإنسان إذا أراد أن يتذكّر شيئاً نسيه، أغمض عينيه وفكر، فيقع على ما شرد من حافظته". (2)

من الواضح أنّ الصّفديّ بذل جهداً كبيراً في العرض لعلّة العمى وأصحابها عرضاً موسوعيّاً لم يهمل فيه جانباً يغني ثقافة القارئ ومعرفته بهذا الموضوع.

وهو مع ذلك يُضفي على مادّة الكتاب الّتي جمعها ونسّقها من علمه وخبرته وثقافته ما يثريها ويزيدها موسوعيّة، وقد ظهر ذلك في تعليقاته وتعقيباته ومداخلاته وآرائه الّتي زخر بها الكتاب ضمن التّراجم والمُقدّمات.

فمن ذلك ردوده على الإمام فخر الدّين حين فسّر المعاتبة الرّبانيّة الّتي وقعت على النبي الكريم عندما أعرض عن الأعمى (3) ففيها من الفوائد والنّفع ما فيها. ومن ذلك أيضاً الفوائد والتّعقيبات ضمن التّراجم ففي ترجمة الثّمانيني عمر بن ثابت ذكر الصّفدي زيادة في الفائدة أن "الثّمانين قرية وقيل بليدة بجزيرة ابن عمر بأرض الموصل، ولها الثمانون الذين كانوا في سفينة نوح عليه السلام، وهي أول بلدة بنيت بعد الطوفان". (4)

(1) نكت الهميان ص68.

(2) نكت الهميان ص68.

(3) نكت الهميان ص33

(4) نكت الهميان ص187.

ومن ذلك أيضاً قوله في مادّة عملق: "العمالقة قوم كانوا في قديم الزّمان، يذكر أنّهم كانوا في غاية من الطّول منسوبون إلى عمليق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح...". [1]

ومن ذلك: "قلت الرازيانج هو السّمرُ وينبغي أن يُغسل قبل أكله في أوّل دخوله لهذه العلّة، والضّب إذا خرج من جحره لا يبصر شيئاً إلى أن يستقبل الشمس ساعة فحينئذ يبصر". [2]

ومن مظاهر الموسوعيّة في "نكت الهميان" تنوّع الشّواهد الّتي ساقها الصّفديّ ليؤكّد أفكاره ويعززها، فهي مُستمدّة من القرآن الكريم والحديث الشّريف والشّعر والرجز والأمثال والأخبار، والنّصوص والأقوال المقتطفة من المصادر والمظان الكثيرة.

فالصّفحة الواحدة في الكتاب غنيّة بشواهدها وغزارة معلوماتها فتجد الآيات الكريمة والحديث الشريف والشعر في موضع واحد، [3] وتجد مقدّمة كاملة في الكتاب خصّصها الصّفدي لتفسير ما اختاره من الآيات القرآنيّة الّتي تناسب موضوع العمى، [4] أو للشعر الّذي نظمه العميان والّذي قيل فيهم أيضاً، [5] مع الشّواهد الأخرى الّتي تُعزز الفكرة، وتغني الثّقافة العامّة، وتناسب الموضع الّذي أتت فيه، من ذلك حديث رسول الله المعروف عن عين قتادة رضي الله عنه، [6] وغيره كثر من الأحاديث الشّريفة، والأمثال كأحفظ من العميان، [7] والرّجز كقول رُؤبة [8] فيما بعد عن أطراف المفاوز:

(1) نكت الهميان ص21.

(2) نكت الهميان ص30.

(3) انظر على سبيل المثال نكت الهميان ص 46،47

(4) المقدمة الرّابعة ص30 وما بعدا، ولم يهمل القراءات.

(5) المقدّمة التّاسعة ص58 وما بعدها.

(6) نكت الهميان ص 40 وانظر مجمع الزّوائد للهيثميّ 113/6.

(7) نكت الهميان ص 68، وانظر مجمع الأمثال للميداني 1/ 406.

(8) رؤبة بن عبد الله التّميمي السّعديّ راجز من الفصحاء المشهورين، ومن مخضرمي الدّولتين الأمويّة والعبّاسيّة، كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة، وكانوا يحتجون بشعره، ويقولون بإمامته في اللغة، مات في البادية 65هـ وقد أسن، وله ديوان رجز مطبوع. انظر وفيات الأعيان لابن خلّكان 303/2 والأعلام للزّركلي 34/3.

وقاتم الأعماقِ خاوي المُخترَق [1]

وما ذكرناه غيض من فيض الشّواهد الّتي دلّت على موسوعيّة الصّفديّ في كتابه، ولا يمكن الإحاطة بها إلّا بعملٍ إحصائي دقيق في جداول خاضعة، وهذا قد يزيد البحث اتّساعاً غير محمود، لذلك اكتفينا بما ذكرناه من الشّواهد مع إحالات الحواشي لتكون دليلاً على المعرفة الموسوعية الّتي سعى إليها الصّفديّ في كتابه.

(1) ديوان رؤبة بن العجاج ص 104، مجموع أشعار العرب، وانظر طبقات فحول الشّعراء لابن سلام 761/2، وقال بعده مشتبه الأعلام لمّاع المخفق.

خاتمة:

وصلنا إلى ختام دراسة مفيدة شائعة لكتاب فريد في مادّته ومنهجه، قد يقف أمامه الباحث حائراً، فهو مصدرٌ ملهم لتراجم المكفوفين وأخبارهم، ومصدر مهم أيضاً لدراسة على العمى من جوانبها وزواياها المُتعدّدة، مع غزارة في المعارف وعوض منطقي ضمن منهج واضح خلف منه كثير من كتب الثّقافة العامّة.

وقد اجتهدنا في دراسة هذه الكتاب، وسعينا _قدر الإمكان_ إلى النّتائجِ الآتية:

_كان الصّفديّ في "تكت الهميان" ناقلاً وجامعاً، لكنّه لم يكتف بالجمع والنّقل، بل أظهر شخصيّته البحثيّة والموسوعيّة ضمن أرائه ومناقشاته وتعقيباته وردوده.

_كان منظّماً في كتابه من حيث الشّكل والمضمون، ظهر ذلك في منهجه وطريقة عرض المادّة المعرفيّة، والمحاكمة المنطقيّة للأمور، والتّسلسل في عرض الأفكار.

_لم يكن الكتاب مخصّصاً لتراجمِ المكفوفين فحسب، بل سعى الصّفدي إلى إخراجه في صورة موسوعة مصغّرة مرتبطة بالعمى والعميان مع فوائد ولطائف وإشارات معرفيّة مرتبطة بجوانب أخرى، فجعل القارئ الباحث عن هذه العلّة مكتفياً بكتابه.

_كان الصّفديّ موفّقاً في الجمع بين التّراجمِ والجوانب الموسوعيّة ضمن موضوع العمى والعميان، فبدأ المؤلّف واثقاً ممكناً، ابتعدَ عن الإيجاز المخل، أو الإطناب الممل.

_أراد الصّفدي أن يقدّم صورة مشرقة لذوي العاهات، ومنهم العميان (مبصرو الرّوح) واستطاع تحقيق ذلك، فكان التناول إنسانيّا راقياً، ابتعد فيه عن الشّفقة واقترب كثيراً من الدّليل والحجّة، مع بيان القدرة الإلهيّة في تفوّق المكفوفين وعلو شأنهم.

_لعلّ الصّفدي أراد تغيير النّظرة الدّونيّة التي امتلكها بعض من يجهل حقيقة العمى وأصحابه، والحكمة الإلهيّة من وجود هذه العلّة، فالكتاب بعيدٌ عن التّشهير بهم، أو الانتقاص من قدرهم، أو السّخرية منهم، وهذا هدف سام استطاع الصّفديّ أن يحقّقه في الكتاب، فأكّد أنّهم أصحاب همم عالية وبصيرة نافذة.

المصادر والمراجع:

_القرآن الكريم.

_أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، الطّبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت _ لبنان 1411هـ _1990م.

_الأعلام لخير الدّين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، 1984.

_الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، دار الكتب المصريّة، 1925م.

_أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري، تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصريّة، بيروت.

_البرصان والعرجان والعميان والحولان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السّلام هارون، الطّبعة الأولى دار الجيل، بيروت– لبنان، 1410هـ– 1990م.

_تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدّين الذّهبي، تحقيق: د. عمر عبد السّلام تدمري، الطّبعة الثّانية، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان 1413هـ –1993م.

_تفسير الطّبري (جامع البيان في تأويل القرآن) لمحمّد بن جرير الطّبري، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، الطّبعة الأولى، مؤسّسة الرّسالة، 1420هـ 2000م.

_تفسير القاسمي المسمى محاسن التّأويل لمحمّد جمال الدّين القاسمي، ضبطه وخرج آياته محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت– لبنان، منشورات محمد علي بيضون.

_تفسير القرآن العظيم، لابن كثير الدّمشقي، الطّبعة الأولى، إشراف مكتب البحوث والدّراسات في دار الفكر– لبنان، 1417هـ – 1984م.

_التّفسير الكبير ومفاتيح الغيب لفخر الدّين الرّازي، دار الكتب العلميّة. بيروت– لبنان.

_تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التّاريخ والسّير لأبي الفرج بن الجوزي، الطّبعة الأولى، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت– لبنان، 1997.

_تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، تحقيق: عبد السّلام هارون، مراجعة: محمد علي النجار، الدّار المصريّة للتأليف والتّرجمة، 1384هـ – 1964م.

الدّرر الكامنة في أعيان المئة الثّامنة لابن حجر العسقلاني، الطّبعة الثّانية، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند، 1392هـ – 1972م.

_الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدّين السّيوطي، دار الفكر، بيروت– لبنان، 1432هـ – 2011م.

_ديوان بشار بن برد، جمع وتحقيق وشرح الشّيخ محمّد الطّاهر بن عاشور، راجعه ووضّحه محمّد شوقي أمين، مطبعة لجنة التأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة، 1386هـ – 1966م.

_ديوان رؤبة بن العجاج (مجموع أشعار العرب) اعتنى بتصحيحه وترتيبه وليم بن الورد العروسي، دار قتيبة للطّباعة والنّشر، الكويت.

_ديوان سقط الزّند لأبي العلاء المعرّي، شرحه وقدّم له: د. عمر فاروق الطباع، الطّبعة الأولى، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت– لبنان 1488هـ – 1998م.

_ديوان ابن سناء الملك، تحقيق: محمّد إبراهيم نصر، مراجعة: د. حسين نصّا وزارة الثّقافة المصريّة/ الكاتب العربيّ للطّباعةِ والنّشر، القاهرة، 1388هـ – 1969م.

_ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق وشرح: عبد السّتار فراج، الطّبعة الأولى، دار مصر للطباعة.

_رأس مال النديم في تاريخ أعيان أهل الإسلام لأحمد بن علي بابه القاشي، تحقيق: د. أحمد عبد القادر خريسات، مركز زايد للتّراث والتّاريخ، العين– الإمارات، 1421هـ 0 2001م.

_سير أعلام النّبلاء لشمس الدّين الذّهبي، حققه: بشّار عواد معروف، د. محيي هلال السّرحان، الطّبعة الأولى، مؤسّسة الرّسالة، بيروت – لبنان، 1404هـ _1984م.

_الشعور بالعور لصلاح الدين خليل بن أيبك الصّفدي، حقّقه واستدرك عليه: د. عبد الرزاق حسن، الطبعة الأولى، دار عمان، 1409هـ *1988م، عمان* الأردن .

شذرات الذّهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، دار الإحياء للتّراث العربيّ، بيروت لبنان .طبعة أخرى بتحقيق محمود الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، الطّبعة الأولى، دار ابن كثير، دمشق_ بيروت، 1406هـ_ 1986م .

طبقات فحول الشّعراء لمحمّد بن سلام الجمحي، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، دار المدني للطّباعة جدّة، شركة القدس_ القاهرة.

_عيون الأخبار لابن قتيبة، تحقيق: د. يوسف علي طويل. دار الكتب العلميّة، بيروت 1416هـ _ 1995م _الكتاب لسيبويه (عمرو بن عثمان بن قنبر)، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة 1988م.

_اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري عز الدّين عليّ بن محمد، ضبطه وحقّق أصوله عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلميّة، بيروت _لبنان، منشورات محمد علي بيضون.

_لزوم ما لا يلزم لأبي العلاء المعري، تحقيق: د. طه حسين، د. إبراهيم الأنباري. دار المعارف، مصر _ .لسان العرب لابن منظور، دار صادر_ بيروت .

_مجمع الأمثال للميداني، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، الطّبعة الثالثة، 1972م.

_مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي، حقّقه وخرج أحاديثه: حسين سليم أسد الداراني، دار المأمون للتّراث.

المعارف لابن قتيبة، حقّقه وقدم له: ثروت عكاشة، الطّبعة الرّابعة، دار المعارف مصر، وطبعة أخرى صادرة عن الهيئة العامّة المصريّة للكتاب، الطّبعة الثّانية_ مصر، 1992م .

_المعجم الوسيط، أعدّ مواده إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزّيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، أشرف عليه عبد السّلام هارون، صادر عن مجمع اللغة العربية في القاهرة.

_ النّجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تعزي بردي، طبعة دار الكتب المصرية 1930م _ .

_ النّقد الأدبي في القرن الثّامن الهجري بين الصّفدي ومعاصريه، للدّكتور محمّد علي سلطاني، دار الحكمة_ دمشق، 1974م .

نكت الهميان في نكت العميان لصلاح الدين الخليل بن أيبك الصّفدي، حقّقه وعلّق عليه: طارق الطنطاوي، دار الطّلائع، القاهرة مصر .

_هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي، مؤسّسة التّاريخ العربي .

وفيان الأعيان لابن خلّكان، تحقيق: د. إحسان عبّاس، طبعة دار الثّقافة، بيروت لبنان 1986.